



## نفوتنا التي يجب أن تتغير.. بقلم: الإمام حسن البنا



الجمعة 1 مايو 2020 م

في شهر القرآن..

قال الله تعالى: **«إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَعْمَلُ الْأَوْلَى إِلَّا إِذَا أَغْيَرَهُمْ هُنَّ أَوْلَى بِالْإِغْيَارِ»** (الرعد: من الآية 11) حين أنزل الله القرآن على نبيه محمد- صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- وقرأه علينا الكريم على الأمة العربية حينذاك عمل في نفوسيهم عمل السحر، وبلغ أثره أعمق هذه القلوب، وتغلغل في حنابها الضلوع، وتمكن من مكamen الأرواح، وبدل الله به هذه الأمة خلقا آخر، فكان البون بعيداً، والفارق عظيم بين الأمة العربية في جاهليتها وإسلامها.

ولقد أثّر القرآن في نفوس المشركين والمؤمنين على السواء، ولكن أثره في نفوس المشركين كان أثراً وقتياً سليماً، وكانوا يفرون منه ويضعون الدوائل فيما بينهم وبينه، ويقول بعضهم لبعض: **«لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوُوا فِيهِ لَعْلَكُمْ تَغْبُرُونَ»** (فصلت: من الآية 26).

أما المؤمنون فكانوا يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هدتهم الله وأولئك هم أولو الأنبلاب، فكان أثر القرآن في نفوسهم دائماً إيجابياً، بدلهم وغيرهم وحوthem من حال إلى حال، ودفعهم إلى كرام الخصال وجلال الأعمال **«اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ كَتَبَاهُ مُشَاهِيْدٌ تَفَشَّى مِنْهُ جُلُودُ الْأَذْيَانِ يَخْشَوْنَ رَبِّهِمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلَ اللَّهُ قَمَّا لَهُ مِنْ هَادِ (23)»** (الزمر).

وها هو القرآن الكريم يُتلّى علينا ويقرأ بين ظهارينا، فهل تغيرت به نفوتنا وانطبعنا عليه أخلاقنا، وفعل في قلوبنا كما كان يفعل في قلوب أسلفنا؟.

لا أيها الإخوان، لقد صرنا نقرأ القرآن قراءة آلية صرفة، كلمات تتردد ونغمات تتعدد، ثم لا شيء إلا هذا، أما فيض القرآن وروحانيته وهذا السياق الدافع من التأثير القوي الفعال، فمن بيننا وبينه حجاب، ولهذا لم نكن صورة من النسخة الأولى التي تأثرت بالقرآن وتبدل نفوسها به، وهذا نحن الآن نريد أن نقتدي بهذا السلف، ونريد أن تنهض من جديد في نفوس المسلمين وشعوب المسلمين أمّة القرآن ودولة القرآن.

فهل لنا أن نحصل بالقرآن صلة حقيقة تظهر من أرواحنا وتغير من نفوتنا؟

إننا نؤثر الدنيا ونحبها من كل قلوبنا، فهل لنا أن نستمع إلى قول الله العلي الكبير: **«فُلْ إِنْ كَانَ آبُوكُمْ وَأَنْتُوكُمْ وَإِذْوَانَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالَ افْتَرْقَنْتُمُوهَا وَتَجَارَهُ تَخْشُونَ كَسَادَهَا وَمُسَاكِنَ تَرْضُوَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادِهِ فَتَرْبَضُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)»** (التوبة)، وقوله تعالى: **«بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَاللَّآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17)»** (الأعلى)، وقوله تعالى: **«مَا عَنَّدُكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عَنَّدَ اللَّهُ يَأْقِنُ (18)»** (النحل: من الآية 96). فنؤثر ما عند الله على ما عند أنفسنا ونحرص على مرضاته وجزيل مثوبته ولا نتعباً بما يحببنا في سبيل الحق الذي ندبنا إليه من أدي في النقوس أو الأموال، ولن يصبينا إلا ما كتب الله لنا، ولن يصبينا إلا الخير ياذن الله **«فَانْقَلِبُوا بِعِنْقَمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضِّلُ لَمْ يَمْسِسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو الْعَظَمَاتِ (174) إِنَّمَا ذَكِرُكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَئِكُهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)»** (آل عمران).

وإننا ننظر إلى الأسباب نظرة هي كل شيء، ونعمل في حسابنا إرادة العلي الكبير، ومناصرته لأوليائه من حيث لا يحتسبون، وتأييده إياهم بما يعلم الناس وما لا

يعلمون، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مُخْرِجًا﴾ (2) وَبِرَزْقَهُ مَنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْأَمْرِ قَدْ جَعَلَ اللَّهَ كُلُّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (3) (الطلاق)، ويقول تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ تَمْنَعَ الَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَتَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (5) وَنُمْكِنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ (القصص)، إلى غير ذلك من الآيات التي تكل الأمر كله لله من قبل ومن بعد.

فهل لنا أن تتغير نفوسنا بهذا الوحي الرئيسي، والوعد السماوي، فنكون بما في يد الله أوثق مما في يد أنفسنا!.

إننا نغضب لأنوهي الأسباب، وتقطّع وتدابر بسبب وبغير سبب، وتفرق بيننا الآراء والأهواء والشهوات والمنازع والدنيا، والعرض الزائل والوهم والأمنية الباطلة، والغاية الفاشلة الزائلة، والله يقول: ﴿وَاعْصُمُوهَا بَحْنَ اللَّهِ حَمِيعًا وَلَا تَفْرُغُوا وَادْكُرُوهَا نَعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْذَاجَ فَالْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبِحُتُمْ بِنَعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: من الآية 103)، ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: من الآية 10)، ويقول تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبه: من الآية 71).

فهل لنا أن نتأثر بهذا الخطاب الكريم فننسى الضغائن والأحقاد، ونطهر النفوس والصدور، ونجتمع على كلمة الله، ونكون إخواناً لذاته متحابين بروحه متعاونين على مرضاه، إن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ حَاسِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغُو مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلرِّزْكَةِ فَاعْلَوْنَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَرْوَاهِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنْ أَبْتَغَ فَأَوْلَئِكَ قَوْلَهُنَّ فَإِنَّهُمْ غَادُونَ (7) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاغُونَ (8) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى حَلَوَاتِهِمْ يُخَاهِفُونَ (9) الَّذِينَ يَرْثُونُ الْفَرِدَوْسَ هُمْ فِيهَا قَالِدُونَ (11)﴾ (المؤمنون).

فأين نحن من هذه الأوصاف الكريمة والسمات الفاضلة التي وسم الله بها عباده المؤمنين.

الخposure في الصلاة والمحافظة عليها، والإعراض عن اللغو في القول، والعمل على تجنب ما لا يفيد ولا ينفع، وكل صغير وكبير مستطر، وأداء الزكاة، زكاة الفطر وزكاة المال إبراء للذمة وتطهيرًا للثروة ومنعًا للفتن وبرًا للفقراء والمساكين.

وحفظ الفروج وصيانتها عن غير ما أحل الله لها، وحفظ ما يتصل بها من العين والأذن والفم والأذن واليد والرجل، وقد دعا قال الشاعر العربي:

لعمرك ما أهويت كفي لربية      ولد حملتي نحو فاحشة رجي  
ولا فادني سمعي ولا بصري لها      ولا دلنيرأي عليها ولا عقلي

حفظ الفروج وصيانتها عن غير ما أحل الله لها، وعلوا بالعاطفة، وتنزيها للنفس وصيانتها للعرض، وصرعاً للشيطان، وإرضاً للرحمـن، وأداء الأمانة والوفاء بالعهد أدلة للحق، واعتداداً بالنفس، وتوفيراً للثقة، وإقامـة لميزان التعارف والتعاون بين الناس.

أين نحن الآن من هذه الأوصاف القرآنية التي أضافها الإسلام على أبنائه من المؤمنين الصادقين، والتي تخلق بها سلغنا، فكانوا خير أمة أخرجت للناس!؟!

هذه نماذج من تعاليم القرآن طبع بها نفوس أسلافنا فانعكسـت على مرآة أخلاقـهم وأضاءـت أشعة نورانية للناس، وهـدـتهم بهـم سـوـاء السـبـيل.

فهل تتغير نفوسنا فتتغير أحـوالـنا؟

اللهـمـ حقـ الرـجـاءـ وـأـجـبـ النـداءـ..ـآـمـيـنـ.

المصدر : مجلة الإخوان المسلمين - السنة الأولى - العدد 21 - ص. 3، 4 - 18رمضان 1362هـ / 18سبتمبر 1943م.

